﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [التحريم: 2]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من العتابِ إلى دفعِه ببيانِ أسبابِه

لمّا عاتبَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ، بقوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾؛ أرْدَفَ ذلك ببيان الرُّخصة في الرُّجوع إلى ما حَرَّمه على نفسه، فبيَّن أنَّه لا حرجَ عليه في حَلِّ يمينِه، التي نَشأت عن هذا التَّحريم؛ تسليةً لقلبه، ورَفْعًا للحَرَج عنه، وتأكيدًا لِعَدَم لزوم الاستمرار في التَّحريم المبنيِّ على اليمين، فَعَلَّل ذلك، وقَرَّره بقوله: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾، أي: شَرَعها، وبيَّنَها، وأوجَبها؛ لِتَكون مَخرجًا شَرعيًّا مِن اليمين؛ إذا انعقدت على أمْرٍ، ثُمَّ بان خلافُه، أو اقتضَت الحِكمةُ الرجوعَ عنه[1]، فهو انتقالٌ مِن العتابِ على الامتناع، إلى بيان كيفيَّة التَّعامل مع ما هو خلافُ الأولى.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَرَضَ﴾: (فرض) أصلٌ يدُلُّ على حَزِّ الشَّيءِ الصُّلبِ، يُقالُ: فَرَضَ يَفرِضُ فَرضًا، فهو فارِض، وهي مَفروضة، ومنه الفَرضُ: الثُّقبُ في الزَّندِ في المَوضِع الَّذي يُقدَحُ منه، والمِفرَضُ: الحَديدةُ الَّتي يُحزُّ بها[2]، فهو يدلُّ على قطعٍ في الشَّيءِ الصُّلْبِ، ولذا جاءَ بمعنى قطعِ الحُكم في الشَّيءِ، وسُمّيَ الفَرضُ فَرضًا؛ لمُشابَهتِه الحَزَّ في أنَّ لَهُ مَعالمَ وحُدودًا[3]، وفرَضتُ الشَّيءَ أفرِضه فَرضًا، وفَرَّضتُه للتَّكثير: أوجَبتُه، وفَرائضُ اللهِ: حُدودُه الَّتي أمرَ بها، ونهى عنها،

(1) النَّيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 319، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 50، والبقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 183.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرض).

(3) الأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (فرض).

والفَرضُ: ما أوجبه اللّه ﷻ، سُمّي بذلك؛ لأنَّ له مَعالِمَ وحدودًا[1]، ومعنى ﴿فَرَضَ﴾ هُنا: بيَّن، وشَرَع[2].

2) ﴿تَحِلَّةَ﴾: (حلل) أصلٌ يدُلُّ على فَتحِ الشَّيءِ[3]، وتَحِلَّة على وزنِ تَفعِلة (مِن مَصادِرِ فعَّلَ، كالتَّوصيةِ، والتَّسميةِ)، وأصلُها تَحْلِلةٌ، فأُدغِمَتْ[4]، وسُمّيت الكفّارة تَحِلَّةً؛ لأنَّ عُقدةَ اليمينِ تنحَلُّ بها، أو لأنَّ الحالِفَ يتَحَلَّلُ بها عن اليمينِ، أي: يخرجُ من تبِعاته، والتَّحِلَّة في الآية هي الانفكاكُ عن اليمين، أي: الكفّارة.

3) ﴿أَيْمَٰنِكُمْ﴾: (يمين) أصلُه لليد اليُمنى (الجارحة)، وكذلك: الحَلِفُ والقَسَم، يُجمَع على أيْمان وأيْمُنٍ[5]، وسُمّيَ الحَلِفُ يَمينًا؛ لأنَّ المُتَحالِفَيْنِ كَأنَّ أحَدَهُما يَصْفِقُ بيَمينِهِ عَلَى يَمينِ صاحِبِهِ[6]، فاليمينُ في الحلف مستعارٌ من اليَد اعتبارًا بما يفعلُه المُعاهِد والمُحالِف وغيره[7]، والأيمانُ في الآية بمعنى الحلِف والقَسَم[8].

4) ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾: (ولي) أصلٌ يدُلُّ على القُرْبِ، سواءٌ مِن حيثُ المكانُ، أو النِّسبةُ، أو الدِّينُ، أو الصَّداقةُ، أو النُّصرةُ، أو الاعتِقادُ[9]؛ والمَولى: هو السَّيِّدُ والمُنْعِمُ والنّاصرُ والمُعينُ، والوَلايةُ: تَوَلّي الأمرِ، والوِلايةُ النُّصْرةُ، وحقيقتُه: تولّي الأمر، والوَليُّ والمَولَى يُستَعمَلانِ في ذلكَ، كلُّ واحدٍ منهما يُقالُ في معنَى الفاعل، أي: الموالي، وفي معنَى المفعول، أي: الموالَى، فيُقالُ: اللّهُ تعالى وليُّ المؤمنين ومَولاهُم، أي: ناصرُهم، ومُتولّي أمرِهم[10]، والمعنى هُنا: وليُّكم وناصِرُكم ومؤيِّدُكم[11].

(1) ابن منظور، لسان العرب: (فرض).
(2) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 472، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 186، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التَّمييز: 2/ 494.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حلل).
(4) مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن: 1/ 691، والجبلي، البستان في إعراب مشكلات القرآن: 3/ 453.
(5) الفراهيدي، العين: (يمن).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (يَمَنَ).
(7) الرّاغب، المُفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (يَمَنَ)، والواحدي، البسيط: 3/ 483.
(8) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 22/ 489، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 3/ 102.
(9) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (ولي)، وابن الهائم، التِّبيان، ص: 89.
(10) الرَّاغب، المُفردات: (ولى).
(11) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 569، وملا حويش آلغازي، تفسير القرآن العظيم: 3/ 232.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تَحِلَّة الأيمان مظهَرٌ من مَظاهِرِ رحمة الرَّحمن وتدبيرِ الحكيمِ الدَّيّان

أبانتِ الآيةُ الكريمةُ عَن وجهٍ من وجوه رحمةِ اللّه بعباده ولُطفه بهم، فقال جَلَّ ذِكْرُه: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، أي: شَرَع لكم تحليلَ أيمانِكم بالكفّارة المبيَّنة في كتابه؛ إذا بدا لكم الرُّجوعُ عمّا حَلَفتُم عليه، فَرغَّبكم في الأخذ بهذه الرُّخصة، ودلَّكم على السَّبيل المُفضي إلى التَّيْسير، ولم يُضيِّق عليكم فيما عَقَدتم الأيمانَ به، بل جَعَل لكم إلى الحلِّ منه مَخْرَجًا، تَرَفُّقًا بكم ورحمةً، واللّهُ وليُّكم وناصِرُكم - أيُّها المؤمِنونَ - ويتوَلَّى أُمورَكم بما فيه صَلاحُكم، وهو بالِغُ العِلمِ بمَصالِحِ عِبادِه وغَيرِها، بالِغُ الحِكمة في خَلْقِه وشَرْعِه وقَدَرِه وتَدبيرِ عِبادِه، لا يَشْرَع إلّا ما فيه الخيرُ لعباده[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصل الآية عن سابقتها:

تشريعُ كفّارةِ اليمين تأنيسٌ لقلب النَّبيِّ الكريم، وإرشادٌ له ولأُمَّته

جاء قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ مفصولًا، وقد سيقَ لبيان ما شَرَعَه اللّه تعالى من كفّارة اليمين؛ تأنيسًا لقلب نبيِّه الكريم، وإرشادًا له ولأُمَّته إلى حُكْم الشَّرع فيما وقع من اليمين، وقد فُصِلت الآيةُ عن سابقتها؛ لِما بينهما من كمال الاتِّصال، الذي تقوَى فيه صِلاتُ الجُمَل ببعضها لدرَجَةٍ لا تحتاج معها إلى واصِلٍ لفظيٍّ، ويُمكن أن يكون الفصلُ لِشِبْهِ كمال الاتِّصال، ولاندراج الثّاني تحت حُكم الأوَّل؛ إذْ كان في ختام الآية السّابقة قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فناسبَ أن يُتبَع ببيان وجْهٍ من وجوهِ مغفرته ورحمته، وهو المَخرَجُ من اليمين بالكفّارة، فجاءت هذه الآيةُ كالتَّفسير والتَّفصيلِ لِما أُجمِل[2].

(1) البغوي، تفسير البغوي: 5/ 117، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 185، والسّعدي، تفسير السّعدي، ص: 873.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 347.

نُكتةُ التَّوكيد بـ﴿قَدْ﴾:

تنزيلُ الكفّارةِ منزلةَ الأمرِ المغفولِ عنه

افتُتح الخبرُ في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، بحرفِ التَّحقيقِ ﴿قَدْ﴾؛ تنزيلًا لرسول الله ﷺ مَنزلةَ مَن لا يعلَمُ أنَّ اللهَ فرَضَ تَحِلَّةَ الأيمانِ بآيةِ الكفّارةِ؛ إذ لم يُبادر بأخذ الرُّخصة في حلِّ ما حرَّم على نفسه تَعظيمًا للقسَمِ، فجاء التَّأكيدُ بأداة ﴿قَدْ﴾؛ ليُقرِّرَ أنَّ الأخْذَ بالكفّارةِ لا تَقصيرَ عليه فيه، فإنَّ فيها مِن الوفاء بتعظيم الاسم الجليل ما فيها، وفي ذلك تسكينٌ لخاطر النَّبيِّ ﷺ[1]، مع ما فيه من التَّنبيه على أمرِ الكفّارة الَّتي عومِلَتْ معاملة الشَّيء المغفول عنه.

دلالة استعمال مفردة ﴿فَرَضَ﴾:

الفرضُ يأتي بمعنى التَّذكير بالأمر المشروع بقصدِ الحثِّ عليه

آثرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ فعل ﴿فَرَضَ﴾، في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، بمعنى التَّشريعِ والتَّبيين، لا الإلزامِ والإيجاب، وذلك أنَّ الفرضَ إنَّما يُعدَّى بـ(على)؛ إذا أُريدَ به الإيجابُ المحضُ، وقد جاء هُنا مُتعدّيًا باللّام: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، فدلَّ على أنَّ المُرادَ الشَّرعُ والتَّوسعةُ والإذْنُ؛ تنبيهًا على أنَّ التَّحلُّل بالكَفّارة مأذونٌ فيه مشروعٌ لا يُنافي الورع، ولا يُخِلُّ بحُرمة اليمين، بل هو في ميزان الشَّريعة وجهٌ من وجوه التَّعظيم لِأمرِ الله، وعُبِّر بـ(الفرض) هنا، وهو لفظٌ في أصله يُفيد الجزمَ والقَطْعَ؛ ليُغريَ إلى الأخذ بالرُّخصة، ويبعثَ على قبولها من غير حرج[2]، ونكتةُ استعمال ﴿فَرَضَ﴾ دون (شرع) ونحوه هو الإيماءُ إلى أنَّ بعضَ الأيمان قد فُرِض في شأنها فرضًا حَلُّ اليمين.

نكتةُ التَّعبير بصيغة الماضي:

جاء التَّعبيرُ بصيغة الماضي للفعل ﴿فَرَضَ﴾؛ وذلك لبيان أنَّه أمرٌ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 347.

(2) إسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 50، وزاده، حاشية محيي الدّين شيخ زاده على تفسير البيضاوي: 8/ 254، والشِّربيني، تفسير الخطيب الشِّربيني: 4/ 353.

حتميٌّ، قد شُرِع للمؤمنين؛ لِحَلِّ أيمانهم الَّتي عقدوها، فهو يُرشِّح معنى التَّذكير بما هو كائنٌ.

نُكتة ذِكْرِ الاسم الجليل:

الأليَقُ بالسّياق التَّشريعيِّ التَّعبيرُ بالاسمِ الجليلِ

آثَرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالاسم الجليل، في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ﴾، في مقام التَّشريع؛ لأنَّه الأليَقُ بالسّياقِ التَّشريعيِّ؛ لِما يُفيض به من معاني الألوهيَّة، وقد جاء على وجهٍ مِن وجوه التَّفخيم والتَّمجيد؛ تنبيهًا على أنَّ الشّارع لهذا الحكم، والمتولّيَ لأمْرِكُم فيه، والمتفضِّلَ عليكم بهذه الرُّخصة، هو اللَّهُ ﷻ، الذي لا شريكَ له في حُكمه، ولا مُعقِّبَ لأمره[1].

نَوعُ اللَّام ودلالتُها:

اختصاصُ أُمَّة الإسلام بِحُكمِ كَفّارات اليمينِ وتَحِلَّة القَسَم

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ لام الاختصاص، تُفيد أنَّ هذا التَّشريع مخصوصٌ بأُمَّة الإسلام؛ تكرمةً لها ورحمةً، فَتَحِلَّةُ الأيمانِ شُرِعَت مِن أجْلِ مَنفعَة المؤمنين ودَفْعِ الحَرَج عنهم، وقد اشتمَلَ هذا الفرضُ على تمييزٍ لهذه الأُمَّة عن الأمم السّالفة، فإنَّ مَن كان قبلَهم لم يُؤذن لهم في الحنث، كما وقع في خبر أيّوب ﷺ؛ إذ أمَرَه الله تعالى أن يضربَ بيده ضغثًا، ولا يحنث، ولم يُرخِّص له في تَرْكِ ما نَذَره، أو حَلَف عليه، وأمّا هذه الأمَّة المرحومة؛ فقد جُعِل لها مَخرجٌ مُشَرَّعٌ، وكفّارةٌ مُبيَّنَةٌ، فكان ذلك مِن تمام رحمة الله بها، وفضلِ تشريعه عليها[2].

غَرَضُ تقديمِ شِبهِ الجُملة:

قُدِّمَت شِبهُ الجُملة ﴿لَكُمْ﴾، في قوله تعالى: ﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾؛ للإيذان بالاهتمام مع الاختصاص، فهو يُنبئ أنَّ هذا التَّشريعَ خُصَّ به المؤمنون تشريفًا لهم، وتحنُّنًا عليهم، وتأنيسًا لقلوبهم؛ لِما فيه من مزيدِ الاعتناءِ بشأنهم.

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 183.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السُّنَّة: 77/ 10.

غَرَضُ الانتقال مِن الإفراد إلى الجمع:

بركةُ النَّبيِّ تلحقُ الأمَّة كلَّها

جاء الخطابُ في الآية الكريمة: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ جمعًا؛ لتعميم الحُكم وتوسيع أهْلِه، فإنَّ الخطابَ وإنْ تَوَجَّه ابتداءً للنَّبيِّ ﷺ، إلّا أنَّ التَّشريعَ فيه عامٌّ للأُمَّة كافَّةً، فجاء بالجمع إشارةً إلى عموم الحُكم، ورَفْعِه عن مُجَرَّدِ مَقام العِتاب الخاصِّ، إلى مَقامِ التَّشريع العامِّ[1]، وهذا مِن بَرَكات سيِّد الخلق ﷺ، فما جاء في سياق العتاب الخاصِّ؛ كان خيرُه عامًّا للأمَّة كلِّها.

سِرُّ التَّعبيرِ بِمُفرَدَة ﴿تَحِلَّةَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

الإغراء بالأخذ بالكفّارة والعودة إلى سابق الحال قبل وقوع اليمين

﴿تَحِلَّةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ على وزن (تَفْعِلَة)، ثُمَّ أُلقيَتْ حَرَكَةُ اللّام الأولى على الحاء، وأُدغمت في الثّانية، و(تفْعِلَة) من مصادر التَّفعيل كالتَّوصية والتَّسمية، و(التَّحلَّة) مصدرُ حللت، وتَحِلَّةَ أيْمانِكُم: كَفّارة اليمين، وعبَّر عنه بـ (تَحِلَّةَ)؛ للإشارة إلى أنَّ في الكفّارة حلًّا لِما تَعَقَّد، وصار صعبًا باليمين، أو ما يجري مجراه، وأنَّ الشَّيءَ الذي حُرِّم، ومُنِع باليمين صار بعد الكفّارة حلالًا مُباحًا؛ فإذا كَفَّر؛ صار كمَن لم يَحلِفْ، وأوثِرَ التَّعبيرُ بلفظ تَحلَّةَ دون غيره؛ لِما في جَرسه من قوَّةٍ تناسبُ تعبير القرآن بالفعل ﴿فَرَضَ﴾، بجانب ما يُشعر به من انطلاقٍ بعد قيد، وانفكاكٍ بعد حَبْسٍ، ممّا يُغري بالأخذ به والعودة إلى سابق الحال وماضي العهد قبل وقوع اليمين[2].

بلاغةُ المَجازِ في لفظ ﴿أَيْمَٰنِكُمْ﴾:

اليَمينُ عَلامَةُ الوثوقِ ودليلُ اللُّزوم

الأيمانُ في قوله تعالى: ﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ جَمْعُ يمينٍ، وهي في أصلِ الوضعِ اسمٌ للجارحةِ، ثُمَّ أُطلِقَت مجازًا على

(1) ابن تيميَّة، مجموع الفتاوى: 35/ 268، والشِّربيني، تفسير الخطيب الشِّربيني: 4/ 353، والقاسمي، محاسن التَّأويل: 9/ 270.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 186، والجبلي، البستان في إعراب مشكلات القرآن: 3/ 453، وصبحي المليجي، من أسرار النظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2124.

القَسَم، إذْ كان القومُ إذا تعاقدوا، وتبايعوا، ضرَبَ بعضُهم على يدِ بعضٍ؛ تأكيدًا للعهدِ وتوثيقًا للميثاق، فصارت اليدُ مَعلَمًا على التزامِ القولِ وتوثيقِ الحَلِف[1]، فنُقِلت مِن الحقيقةِ الحِسّيَّةِ إلى المعنَويَّةِ بنوعٍ مِن المجازِ المرسلِ، علاقتُه السَّببيَّةُ؛ إذْ أُطلق اسمُ السَّبب، وهي الجارحة على المُسبَّب (وهو القَسَم)؛ لِما كان بينهما مِن علاقةٍ قويَّةٍ نَشَأت مِن عُرف العرب وعادتهم.

دلالة جمع القلَّة (الأيمان):

فـي استعمال جَمْعِ القلَّة دَعوةٌ إلى التَّقليل مِن الأيمان

لفظُ ﴿أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ جمعٌ مُفردُهُ (يَمينٌ)، وهو جمعُ تكسيرٍ على زنة (أفْعالٌ)، وهو مِنْ أوزانِ جمعِ القِلَّة، ولعلَّ في ذلك إشارةً إلى أنَّ هذه الأيمانَ مُتَّصِفَةٌ بالقِلَّة، أو أنَّه يجبُ على المسلم أنْ يُقلِّلَ منها، فلا يُطلِقُها كثيرًا في كلامِه.

بلاغةُ الاستعارة في مفردة ﴿أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾:

تصويرُ اليمين بالعقدةِ التي تُحَلُّ؛ لِبَيان يُسْرِ أمْرِ الكفّارة

كلمةُ ﴿تَحِلَّةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ مأخوذةٌ مِن (الحَلِّ) الذي هو في الأصل نقضُ العُقدة، أو فَكُّ الرَّبط المُحكَم، وهي صورةٌ محسوسةٌ تُستعمل في الحِبال والعُقَد، "فكأنَّه باليمين على الشَّيء لالتزامه عَقَد عليه، وبالكَفّارة يَحُلُّ ذلك"[2]، وقد حُذِف المُشبَّه به (العُقدة)، وأُبقيَ على شيءٍ مِن لوازمه، وهو (التَّحِلَّة)، فأُطلقَت هُنا على تحليل اليمين، فشُبِّهت اليمينُ بالعُقدة المحسوسة، وشُبِّه الخروج منها بفَكِّ العُقدَة أو حَلِّها، ففي الكلام استعارةٌ[3] مَكنيَّةٌ مُجرَّدَةٌ بالتَّشخيص، والاستعارةُ في كلمة ﴿أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، فهي المُشَبَّهُ، و(العُقدَة) مُشَبَّهٌ به محذوفٌ، ووجه

(1) الفيومي، المصباح المنير: 681، والرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللغة: (يمن).
(2) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 343.
(3) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 19/ 151.

البلاغة في هذه الاستعارة أنَّ فيها تصويرًا بديعًا؛ إذ صوِّرت اليَمينُ بعَقدٍ مُحكَم، والتحلَّةُ حَلٌّ لذلك العَقد، وفي التَّعبير بها مَسحةُ تلطُّفٍ ورَحمةٍ، تُهوِّن على النفس نقضَ اليمين بالكفّارة، وتُشير إلى أنَّ في هذا الخروج مِن اليمين طُهرةً وبراءةً، لا عيبَ فيها ولا ملامَ، بل هي مأذونةٌ مِن الله الحكيم العَلّام.

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

الانتقال من بيانِ الرُّخصةِ الشَّرعيَّةِ إلى تقريرِ المعنى الإيمانيّ

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ استئنافيَّةٌ استئنافًا نحويًّا، انتقلَ بها النظمُ الكريمُ مِن بيانِ الرخصةِ الشرعيَّةِ إلى تقريرِ المعنى الإيمانيِّ؛ ترسيخًا للثِّقةِ بذكر جلالِ المولى ونُصرته لعباده، وهذا الانتقال يُهيِّئُ النَّفسَ لقبول الحُكم السّابقِ بما يَحملُه مِن طُمأنينةِ النُّفوس بالولايةِ الإلهيَّة والعناية الرَّبّانيَّة[1].

وتحتملُ أن تكون الواوُ حاليَّةً، فتكون جُملتُها تذييلًا لقوله تعالى: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾، ومِن ثَمَّ فهي تؤكِّد ضرورةَ التَّخلّي عَمّا يُسَبِّبُ للنَّفس إرهاقًا وعَنَتًا، والأخذَ بما رخَّصَ الله ﷻ فيه[2].

بلاغةُ إظهار ما حَقُّه الإضمار:

تعظيمُ الاسم الجليل في مقام الولاية والنُّصرة

أُعيد ذِكْرُ الاسمِ الجليلِ (الله)، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾، ووُضِع موضِعَ الضَّمير؛ إظهارًا لما هو مكنونٌ من حقِّ التَّعظيم، وإجلالًا لما يَجب له مِن وجوه التَّكريم؛ إذ لا يُكتفى في مقام الولاية والنُّصرة بالنِّعمة بمجرَّد الإضمار، بل يُصرَّحُ بالاسم العَلَم الأعظم؛ ليكونَ في التَّكرار تَمَكُّنٌ في القلب، وتوكيدٌ لما يجبُ مِن الامتثالِ للأمر، والخضوعِ لجلاله، والاعترافِ بفَضْلِه، فكان ذِكْرُه على جِهَةِ الإظهار أحقَّ بالمقام، وأولى ببلاغة

(1) بهجت صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتّل: 12/ 68، والعلوان، إعراب القرآن الكريم: 2/ 487.
(2) الدعاس، إعراب القرآن الكريم: 3/ 357، وصبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 126.

الكلام، وهذا مِنَ الإطناب المحمود، الذي يأتي بمعانٍ ودلالات، لا يوفّيها حقَّها الإضمارُ.

بلاغةُ التَّعبير بالجُملة الاسميَّة:

تثبيتُ المؤمنين مِن الله تعالى رحمةٌ تُحيط بها الرَّأفة

التَّعبيرُ بالجُملة الاسميَّة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ مُشعِرٌ بالثَّبات والدَّوام، فولايته سُبحانه للمؤمنين ثابتةٌ باقيةٌ غيرُ منقطعة، وفي هذا الأسلوب ما فيه من بثِّ الطُّمأنينة والسَّكينة في قلوب أولياء الله تعالى؛ إذ صوغُ الكلام على أنَّه خَبرٌ حتميٌّ مقطوعٌ بمضامينه ودلالاته، يورِّث السَّكينة، ويبعث على الرّاحة.

بلاغةُ الكناية في استعمال مُفرَدة (المولى):

الدَّلالةُ على الرَّأفةِ والتَّيسيرِ الإلهيِّ

(المولى) في اللُّغة يُطلَق على السَّيِّد، والمملوك، والحليف، وابنِ العمِّ، والأولَى بالشَّيء، والصّاحِب المُعين[1]، وفي التَّعبيرِ بالمولى في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾، كِنايةٌ بديعةٌ عن الرَّأفة والتَّيسير؛ إذ أُطلِق اللَّفظُ على النّاصرِ والمُتولّي شؤونَ عباده، بعدَ ذِكرِ حُكم التَّحلُّلِ مِن الأيمان؛ ليُستشعَر منه أنَّ الرُّخصةَ مأذونٌ بها مِن وليٍّ رحيم، يرعى مصالحَ أوليائه، ويُيَسِّرُ عليهم أمورَهم، فهي كِنايةٌ تنطوي على عنايةٍ ومودَّةٍ إلهيَّةٍ لا تخفى[2].

نُكتة القصرِ بتعريف الطَّرفين:

تأكيدُ مضمونِ الجُملة وتقريرُه بانحصارِ الصِّفَةِ في الموصوف

جاء القصرُ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾، بمجيء المسنَدِ والمُسنَدِ إليه مَعرفتين؛ لبلوغ المُسنَدِ إليه في استحقاقِ ما أُسنِد إليه حدًّا يقتضي حصرَ المُسنَدِ فيه[3]، والقصدُ هُنا هو إثباتُ الولاية لِلّه تعالى أوَّلًا بالذَّاتِ، ثمَّ نفيُ الولاية عنْ غيرِهِ ثانيًا بالتَّبع، والمعنى: اللّهُ مَولاكُم لا غيرُه، كما أنَّ تقديمَ اسمِ الجلالةِ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (ولي).
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 348.
(3) السبكي، عروس الأفراح: 1/ 406.

﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾ يقوّي هذا القَصرَ، ويُعاضده؛ إذ يدلُّ على ولايتِهِ ﷺ نَصًّا، ونفي ولاية غيرِهِ ضِمنًا، فَدلَّ القَصْرُ على تأكيدِ مضمونِ الجملة وتقريرِهِ على سبيلِ انحصارِ صِفَةِ ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾ في الموصوف (الله)، وثباتِ ولايةِ الله للمؤمنين ودوامِها، فهو أولى بهم من أنفُسِهم، وأحقُّ بالولاءِ من خَلقِه كافَّةً، وفيه تأكيدٌ أنَّ النُّصرةَ والتَّدبيرَ لا تُرجى إلّا من المولى الحقِّ، وليُدفَعَ ما قد يُتَوهَّمُ من أنَّ غيرَ اللهِ قد يكون مولى المؤمنين.

نوعُ الواو ودلالتُها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ عاطفةٌ على الجملة السابقة، تُفيد أنَّ ما سبَقَ من التَّشريع والتحليل واقعٌ تحتَ علم الله التّامِّ وحِكمَتِه البالغة، فهي تقويَةٌ معنَويَّةٌ للتَّشريع، تُعلي من قَدْرِه، وتدلُّ على أنَّه مُنزَّلٌ عن تمام علمٍ وحكمة.

تشريعُ الحقِّ صادرٌ عَن عِلمِه وحِكمتِه

بلاغةُ التَّذييلِ بهذَيْن الاسمَيْن الجَليلَيْن:

خُتِمَت الآيةُ بالتَّذييلِ بهذين الاسمَين الجليلين: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ تنبيهًا على عُلوِّ شرفِ الحُكمِ المُتقدِّم، وتنزيهًا له عن كلِّ خَلَل، فإنَّه صادرٌ عن علمِ مَن لا يخفى عليه شيءٌ، وحكمةٍ لا يُخالطها العبثُ والهوى، فكان في ذِكْرِ العلم إحاطةٌ بجميعِ ما خفيَ وظَهَر، وفي ذِكْرِ الحِكمةِ إشارةٌ إلى أنَّ التشريعَ نازلٌ على وفقِ المصالحِ ومجاري الأحوال، فليُسلِّم المؤمنونَ لحُكمِه، وليَرضوا برُخصَته، فإنَّه أحكَمُ الحاكمين، وأعلمُ العالمين[1].

علوُّ شرفِ الحُكمِ المُتقدِّم، وتنزيهُه عن كُلِّ خَلَلٍ

نُكتة القصر بإسناد الصِّفتَين إلى الضَّمير:

إيثارُ صِفَتَي العلم والحكمة، وإسنادُهما إلى ضمير الحَقِّ ﷻ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ عن طريق قَصْرِ الصِّفة على

الرِّفقُ بالنَّفس من بواعث التَّشريع ومقاصدِ الأحكام

(1) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 1029.

الموصوف قصرًا حَقيقيًّا، يؤكِّد ما تدعو إليه الآياتُ مِن ضرورةِ تخفيف النَّبيِّ عن نفْسِه، وعدمِ الإصرار على فِعل ما يُرهِقُها، والأخذِ بما رَخَّصَ اللّه تعالى، وشَرَعَهُ مِن أجلِ عباده[1].

فائدةُ المُبالغة في صيغة صِفَتَي العِلم والحكمة:

الـدَّلالـة على سَعَةِ عِلْمِ الله وكمالِ حِكمَتِه

جاءت الصِّفتان ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، على صيغة (فعيل)، وهي من صيغ المُبالغة، وفيها دلالةٌ على سَعَةِ عِلْمِه وكمال حِكْمَتِه سبحانه، أي: إنَّه بالِغُ العِلم والحِكمَة، لا يخفى عليه شيء، ولا يُشَرِّعُ إلّا ما فيه تمامُ المَصلَحةِ لعباده[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(كَتَبَ) و(فَرَضَ):

في الكَتْبِ مَزيدُ إلزامٍ وتَأكيد

تأتي كلمة (كَتَبَ) في كتاب اللّه تعالى على معانٍ عِدَّة، فتأتي بمعنى: شَرع لكم، وبمعنى: فَرض، وقَدَّر، وحَكَم، وقَضى، وأوجبَ، وأثبَت[3].

فتكون في مَوْضِعِ (الفَرْضِ)، كقوله تَعالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البَقَرَة: 178]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البَقَرَة: 183]، وتكون بمَعْنى الحُكْم[4]، وبمعنى القضاء والتَّقدير كقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التَّوبة: 51]، أي: ما قضاه، وقدَّره، وأبْرَمَهُ[5].

وَوجهُ ذَلك أنَّ الشَّيء يُراد، ثمَّ يُقال، ثمَّ يُكْتَبُ؛ فالإرادةُ مبدأٌ، والكِتابَةُ مُنْتَهى، فالأمرُ قد فُرِضَ، وفُرِغَ منه[6]، ثمَّ يُعبَّر عَن المُراد الَّذي هوَ المَبْدَأُ؛ إذا أُريد بِهِ توكيدٌ بِالكِتابَةِ الَّتي هيَ المُنْتَهى؛ فالكتابة توكيدٌ لهذه المعاني[7].

---

(1) صبحي المليجي، من أسرار النّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2126.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 81، والشّربيني، تفسير الخطيب الشربيني: 4/ 353.
(3) أبو نصر الجوهريّ، الصّحاح: (كتب)، وأبو البقاء الكفويّ، الكلّيات: 766، ومحمّد بن جزي، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 1/ 400، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 308.
(4) مرتضى الزّبيديّ، تاج العروس: (كتب).
(5) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (كتب).
(6) ابن القوطيّة كتاب الأفعال، ص: 65.
(7) أبو البقاء الكفويّ، الكلّيات، ص: 766، والرّاغب، المفردات السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (كتب).

أمّا (الفرض)؛ فإنَّه يأتي بمعنى الإيجاب، أي: ما أوجَبَهُ اللّه تعالى، بِقَطْعِ الحُكم فيه[1]، والفرضُ لا يكون إلّا مِن اللّه ﷻ[2]، وكلُّ مَوْضِعٍ ورَدَ فيه (فَرَضَ اللّهُ عليه)؛ ففي الإيجاب الذي أدخله اللّه فيه، قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [الأحزاب: 50]، أي: قد علِمَ اللّه ما يجبُ فَرْضُهُ على المُؤمنينَ في الأزواجِ والإماءِ مِن المَهْر والنَّفقة[3]، كما تأتي كلمة (فَرَض) في كتاب اللّه تعالى على معانٍ عدَّة:

فيأتي الفرضُ بمعنى التَّقدير، كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[4] [الأحزاب: 38]، ويأتي بمعنى أنزل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ﴾، [القصص: 85]، أي: أنزل عليك القرآن[5].

ويأتي (فَرَض) بمعنى (بيَّن)، كما في قول اللّه ﷻ: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ﴾، أي: بَيَّن لكم كَفّارَةَ اليَمين[6].

فمَعَ اشتراك اللَّفظتين في الدَّلالة على بعض المعاني واختلافهما في البعض الآخر إلّا أنَّ في مادَّة الكَتْبِ مزيدَ تأكيدٍ وحَتْمٍ وإلزامٍ في باب الإيجاب، وهي أعمُّ من مادَّة الفَرْضِ، وأوسعُ منها في المعنى.

الوليُّ والمَوْلَى:

المَولَى: هوَ السَّيِّدُ، والمملوكُ، والحليفُ، وابْنُ العمِّ، والأولَى بالشَّيء، والصّاحِبُ المُعين[7]، فهو يدلُّ على معانٍ عِدَّة، وهو أيضًا

الوليُّ خاصٌّ بالمؤمنين، والمَوْلَى عامٌّ بهم وبالكافرين

(1) الرّاغب، المفردات: (فرض).
(2) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 223.
(3) أبو البقاء الكفويّ، الكلّيات، ص: 689.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 233.
(5) البغويّ، معالم التّنزيل: 3/ 458.
(6) أبو البقاء الكفويّ، الكلّيات، ص: 688.
(7) ابن منظور، لسان العرب: (ولي).

مِن مصطلحات الأضداد، الذي يَدُلُّ على الشَّيء وضِدِّه، كما في السَّيِّد والمملوك، فتُستَعمل للفاعل والمفعول، فيُقال: (مولى فلان)، ويُقال: (اللهُ مولانا).

والمعنى في حَقِّ الله: (المُعينُ الذي تَرْكَنُ إليه، وتعتَمِدُ عليه، وتحتمي به عند الشِّدَّة والرَّخاء، وفي السَّرّاء والضَّرّاء).

والوليُّ في أسماء الله تعالى خاصٌّ بالمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: 257]، أمّا المَولَى؛ فيُطلَق على المعنى الخاصِّ بالمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: 11]، ويُطلق أيضًا بالمعنى العامِّ مثل قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: 30].

ولا تعارُضَ بَيْنَ الآيتين الكريمتين؛ إذ معنى كَونِه مولى الكافرين، أي: (مالِكُهم والمُتصرِّف فيهم بما شاء)، ومعنى كَونِه مولى المؤمنين دون الكافرين، أي: (ولاية مَحبَّةٍ ونُصرةٍ وتوفيقٍ)[1].

(1) الشّنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص: 89.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"